مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ١/٢٠١٤

الأحد ٥ كانون الثاني

الأحد قبل الظهور الإلهي

تذكار الشهيدين ثاوبمبتوس وثاوناس والبارة سنكليتيكي

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر السادس

الرسالة

(٢ تيموثاوس ٤: ٥-٨)

يا ولدي تيموثاوس تيقَّظْ في كلِّ شيءٍ واحتَمِلِ المشقَّاتِ واعمَلْ عملَ المبشِّرِ وأوفِ خدمتَكَ* أمَّا أنا فقد أُريقَ السَّكيبُ عليَّ ووقتُ انحلالي قدِ اقتربَ* وقد جاهدتُ الجِهادَ الحسن وأتممتُ شَوْطي وحفظتُ الإيمان* وإنَّما يبقى محفوظاً لي إكليلُ العدلِ الذي يجزيني به في ذلك اليوم الربُّ الديَّانُ العادل لا إيَّايَ فقط بل جميعَ الذينَ يُحبُّونَ ظهورَهُ أيضاً.

الإنجيل

(مرقس ١: ١-٨)

بدءُ إنجيل يسوعَ المسيح ابنِ الله. كما هو مكتوبٌ في الأنبياءِ: هاءنذا مُرسِلٌ ملاكي أمام وجهك يُهيِّءُ طريقَك قدَّامك* صوتُ صارخٍ في البرّيَةِ أعِدُّوا طريقَ الربِّ واجعلَوا سُبلَه قويمةً* كان يوحنَّا يعمّد

تقديس الماء

إذا قرأنا الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد نلاحظ أنّ للماء رموزاً عديدة، ومع تعدّدها فإنّها تصبّ كلّها في مجرى واحد هو مجرى الحياة، وذلك إمّا سلباً أو إيجاباً. هذا يعني أن الماء تكون إمّا مانحةً للحياة أو سالبةً لها.

يبدأ الكتاب المقدّس بأنّه لم يكن هناك شيءٌ على الأرض سوى المياه: «وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرفّ على وجه المياه» (تك ١: ٢). لم تكن ثمّة حياة على الأرض إنما كانت هناك مياه فقط، ومع أنّ المياه هي عنصر حياة إلاّ أنّها لم تظهر كذلك قبل بدء الخلق، لكنّ كلمة الله برزت كعنصر للحياة وأبرزت المياه وسواها بعد ذلك كعناصر مساعِدة لحياة الإنسان على الأرض، الأمر الذي نجد إشارة إليه في خدمة تقديس المياه: «... لأنك بمشيئتك أبرزت جميع الأشياء من العدم إلى الوجود»، ثم نسمع في هذه الخدمة كلاماً على تكوين العالم وتنظيمه وكيف أنّ هذا الإله نفسه الذي خلق كلّ الأشياء من أجل محبّته للبشر، يأتي آخذاً صورة عبدٍ لكي يخلّص العالم: «لأنك وأنت إلهٌ غير محصور وأزلي وغير موصوف أتيت إلى الأرض آخذاً صورة عبد صائراً إنساناً، لأنك أيها السيد لم تحتمل بفضل عواطف مراحمك أن تعاين جنس البشر مقهوراً من قِبَلِ الشيطان بل أتيت وخلّصتنا». إذاً، لم يعبّر الله عن محبّته للبشر فقط بخلقه كلّ شيء يحتاجون إليه، بل كان يعتني بخليقته ولا يتركها تضلّ، الأمر الذي نعاينه في الكتاب المقدّس منذ البدء، حيث سار الله مع شعبه منقّياً ومنقذاً ومؤدّباً ومرسلاً الأنبياء لينذرهم ويعيدهم إلى المسار الصحيح، إلى أن وصل به الأمر إلى التجسّد واحتمال كلّ طقوس الدّخول في الطبيعة البشريّة من ختانٍ ومعموديّة لكي يعلّمنا طقوس الدخول في الطبيعة الإلهيّة، أي محبّة الآخر حتى الصليب.

تسرد لنا خدمة تقديس الماء أيضاً الروايات الكتابيّة التي كانت المياه عنصراً أساسيًّا فيها: «أنت إلهنا الذي بالماء غرّق الخطيئة على عهد نوح. أنت إلهنا الذي في البحر أعتقت جنس العبرانيين من عبودية فرعون على يد موسى. أنت إلهنا الذي شقّ الصخرة

في البرّيّة ويكرز بمعموديةِ التوبةِ لغفران الخطايا* وكان يخرج إليهِ جميعُ أهلِ بلد اليهودية وأورشليمَ فيعتمدون جميعُهم منهُ في نهرِ الأردنِّ معترفين بخطاياهم* وكان يوحنا يَلبس وَبَرَ الإبلِ وعلى حَقَويْهِ مِنطقةٌ من جلدٍ ويأكلُ جراداً وعسلاً برّياً* وكان يكرزُ قائلاً إنَّهُ يأتي بعدي مَن هو أقوى منّي وأنا لا أستحقُّ أن أنحنيَ وأحلَّ سَيْرَ حِذائه* أنا عمَّدتُكم بالماءِ وأمَّا هو فيُعمّدكم بالروح القدس.

تأمل

«أنا عمّدتكم بالماء وأمَّا هو فيُعمِّدكم بالروح القدس».

الولادة بالمعمودية ضرورية ولازمة لنا في هذا العمر بل في هذه الساعة التي يتخذ العيد (أي الظهور الإلهي، معمودية الرب يسوع) فيها اسم عيد النور. فالاستنارة (المعمودية) هي ضياء النفوس وبهاؤها، وتغيير الحياة. هي قضيتنا مع الله. المعمودية (الاستنارة أو الهداية) هي مساعدة

في البريّة فانفجرت المياه وفاضت الأودية فأروى الشعب العطشان. أنت إلهنا الذي بالماء والنار أنقذ إسرائيل من ضلالة البعل على يد إيليا». نلاحظ أنّ المياه في هذه الروايات كانت عنصر هلاك للعصاة وعنصر حياة للسائرين مع الله. من هنا، عندما نعتمد، تُباد الخطيئة ويموت إنساننا القديم في المياه، لنخرج جدداً لابسين حلّة الحياة التي نحتاج إلى الحفاظ عليها نقيّة، وقد أُعطينا سبيلاً لذلك: سرّ التوبة والإعتراف.

يتساءل البعض عن سبب زيارة الكهنة لهم في فترة عيد الظهور الإلهيّ من أجل تبريك بيوتهم بوساطة الرشّ بالمياه المقدّسة، وكثيرون يتّهمون الكهنة بأنّ زيارتهم لا تدخل إلاّ في إطار السعي وراء جمع الأموال الإضافية (الغطاسيّة). نجد بذوراً لفكرة تبريك المنازل في سفر الخروج: «... ثم يذبحُهُ (الشاة) كلُّ جمهورِ جماعةِ إسرائيلَ في العشيَّةِ ويأخذون من الدَّمِ ويجعلونَهُ على القائمتين والعتبةِ العُليا في البيوتِ التي يأكلونَهُ فيها» (١٢: ٦-٧). هذا الكلام يأتي في معرض كلام الربّ على الضربات العشر التي سيضرب بها الشعب المصري من أجل إخراج الشعب العبراني من وسطهم، من العبوديّة إلى الحرّية، فكان دم الشّاة علامة توضع على البيوت حتى لا يمرّ ملاك الموت إليها ويقتل البكر منها. إنّ المسيح افتدانا بدمه على الصليب ولم نعد بحاجة إلى دم ذبائح التيوس أو الخرفان من أجل طلب رضى الرب. المسيح باعتماده في نهر الأردن قدّس مجاري المياه، فلم تعد علامة ظلام وخراب كما في التكوين. وفي خدمة تقديس الماء نطلب إلى الرب قائلين: «امنحه نعمة الفداء وبَرَكة الأردن. إجعله ينبوعاً لعدم الفساد، موهبة للتقديس، فداءً للخطايا، إكسيراً للأمراض، مبيداً للشياطين، غير مقتَرَب إليه من القوّات المضادة، مملوءاً قوّة ملائكية، فيكون لجميع الذين يستقون منه ويُنضحون به تنقيةً للنفوس والأجساد، شفاءً من الأهواء، تقديساً للمنازل ولكلّ منفعة ملائمة». إذاً، من أجل كلّ الوارد في الصلاة من منافع روحيّة وجسديّة الممنوحة للمؤمنين بوساطة نضحهم بالماء المقدّس يزورنا الكاهن في فترة «الغطاس». إنّ ذوي الفكر المادي يُسقطون ماديّتهم حتى على أعمال البَرَكة التي تفتقدنا بها الكنيسة لإيصالنا إلى الله وإيصال بَرَكة الله إلينا. الكنيسة ترسل الكاهن إلى منازلنا من دون تمييز بين مَن يأتي إلى الكنيسة ومَن لا يأتي بغية تبريك منازلنا وتطهيرها من أيّ دنس روحيّ يحتمل وجوده بواسطة نضحها بالماء المقدّس، لكي تكون منازلنا مكاناً مهيأً على الدوام لاستقبال الرب الظاهر.

ألا منحنا الربّ الآخذ صورة عبد والمعتمد في الأردن آتياً ليخلّصنا أن نكون مستحقّين لنعمةِ الفداء، آمين.

قداس رأس السنة

صباح الأربعاء ١ كانون الثاني ٢٠١٤ وبمناسبة ذكرى ختانة ربنا يسوع المسيح بالجسد وتذكار أبينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير ورأس السنة ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة بحضور حشد من المؤمنين. بعد قراءة الإنجيل المقدس ألقى سيادته العظة التالية:

«لقد عيّدنا منذ أسبوع لميلاد إله

ضعفنا، ودفع بهيميتنا إلى الخارج، واتباع الروح القدس، وشركتنا مع الإبن. هي قيام الخليقة الواقعة، وإغراق الخطيئة، وانحلال الظلمة، والمشاركة في النور. الاستنارة هي عَرَبَةٌ تنقلنا إلى الله، وتغرُّبٌ مع المسيح، وسَنَد للإيمان، وكمالٌ للعقل، ومفتاح ملكوت السموات، وانتقالٌ إلى الحياة، وفك القيود، وإلغاء العبودية، وهي أخيراً الحالة السويّةُ التي تحل كل مركّبات الشذوذ. أجل هي المعمودية – وماذا أعدد أكثر من ذلك – ؟ هي أجمل عطايا الله وأجلّها قاطبةً. وكما نقول: قدس الأقداس، كذلك تكون المعمودية أقدس من كل شيء آخر من مقدسات المسيحية.

ويسمّى هذا السر بأسماء كثيرة ومختلفة مثل تسميات المسيح الذي وهب هذا السر. وذلك إما لأن هذا السر هو منبع الفرح، وقد سبانا حسنُهُ وبهاؤه (لأن مَن زاد عشقهم للمعشوق يعجبهم أن يتلاعبوا بأسماء يسمون بها المعشوق)، وإما لأن الإحسان المتنوع لهذا السر أوحى لنا بأسماء كثيرة. فنحن نسميه: نعمة، وعطية، المحبة والسلام، واليوم نعيّد لتذكار ختانته وخضوعه للشريعة، وهو رب الأرباب وخالق الكون. ربنا تواضع واتخذ جسدنا ليخلصنا، ثم تواضع واقتبل الختان ليعلّمنا، بتواضعه، أن نحترم القوانين التي تنظّم حياتنا وتبعدنا عن الفوضى. إحترام الأنظمة ليس عيباً ومَن يتقيّد بالقوانين ليس قليل العقل كما يعتبر بعضنا الذين يتباهون بالتحايل على الأنظمة والقوانين ويعتبرون ذلك شطارة. ومثل هؤلاء لا تُبنى على أكتافهم الأوطان بل يكونون سبب خرابها.

نعيّد اليوم أيضاً لأبينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير ولبدء السنة الجديدة التي نتمنّاها سنة خير وسلام وبركة، ونمو وأمان وازدهار.

لقد أبى الشر إلاّ أن يطوي السنة المنصرمة بمأساة آلمت جميع اللبنانيين، وما أكثر المآسي التي شهدناها في العام الماضي، وما أشد الأسى الذي غَمَرنا في كل مرة كانت تحل بنا، نحن اللبنانيين، مصيبةٌ من تفجيرات وإرهاب وعنف واغتيالات وتعدّيات على الجيش وعلى المواطنين الآمنين، وكوارث وضحايا إلى خضات سياسية عديدة.

سنة الكوابيس كانت السنة المنصرمة. سنة التمرّد على الدولة والتطاول على جيش الوطن، سنة الفلتان الأمني والإنهيار الأخلاقي والتراجع الإقتصادي والضمور السياسي. والشر والوجع ليسا من الله بل هما صنع يدي الإنسان. لكن ما ذنب الأبرياء الذين يودي بهم الشر؟ ما ذنب الأطفال والشباب الذين يربّيهم والدوهم بدمع العين ودم القلب، فيخطفهم منهم الموت العبثي، وفي أحسن الأحوال تخطفهم الهجرة وتبعدهم عن وطنهم وعن نظر الأهل وحنانهم. ما ذنب مَن تملّكهم الحنين إلى وطنهم وفضّلوا العيش فيه رغم الصعوبات، على رفاهية العيش بأمان خارجه، وعادوا إليه يساندهم الأمل فإذا باليأس والقنوط يغمرانهم أو الألم يغمرنا لفقدانهم. هل أصبح لبنان مقبرةً لأولاده؟

الآلام رفيقة درب الإنسان منذ السقوط، منذ قرّر آدمُ وحواء التمرّد على إرادة الله. فإن كان الغيرُ مصدرَ الآلام أحياناً، فهل يُعقل أن يسبّب الإنسانُ الألمَ لنفسه؟ أليس هذا ما يفعله اللبنانيون بأنفسهم؟ أليسوا هم سبب المصائب التي تحل بهم؟ أليس الحقد الذي يغمر القلوب هو السبب؟ أليس التحجر الذي يغزو العقول هو السبب؟ أليس التطرّف الذي لا يمت إلى الأديان بصلة هو السبب؟ متى ستغزو المحبة قلوبنا من جديد وتعود الإلفة بين المواطنين ويكبر الأولاد دون خوف من الغد ومن يد الغدر التي لا تفرّق بين مواطن وآخر وبين عمر وآخر ودين وآخر؟

ما بالكم أيها اللبنانيون تعمّرون العالم وتعملون على هدم وطنكم؟ كفى جعل لبنان ساحة مستباحة. أعيدوه وطناً لأبنائه. أعيدوه دولة ذات حدود معروفة وسيادة مفروضة على الجميع، لا يتطاول عليه أحد بل لا يجرؤ على ذلك. أعيدوه منارةً لمحيطه والعالم. أعيدوه واحة سلام وأمن وازدهار وإبداع.

لقد انتشر اللبنانيون في العالم، وحيثما حلّوا أبدعوا. فهل هم عاجزون عن بناء وطنهم المفكّك؟ أليس بينهم مَن هو أهلٌ لتبوؤ المناصب وتحمّل المسؤولية وقيادة الوطن إلى ميناء الخلاص؟ لِمَ لا نفتح لهم المجال وندعهم يعملون علّهم يصلون بنا إلى حيث لم

ومعمودية، ومسحة، واستنارة، ووشاح الخلود، ومغطس إعادة الولادة، وختم الروح القدس وكل شيء آخر فائق القيمة. فنحن نسميه نعمة من إنعام الله بالمقابلة إلى تقصيرنا وما يتوجب علينا نحو الله. ونسميه عطية لأنها تُعطى لنا من غير أن نقدم شيئاً، ونسميه معمودية لأننا به نُدفن (مع المسيح) في ماء الخطيئة. ونسميه مسحةً لأنه ملوكي ومقدس (والمسحة يُمسح بها الكهنة والملوك). ونسميه استنارة لأنه ضياء وبهاء، ونسميه وشاحاً لأنه يستر حياءنا، واغتسالاً لأنه يغسلنا من أوساخنا، وختماً لأنه يحفظنا، وهو سمة الرب ونحن الموسومون بها. فعندما نعتمد يفرح معنا الملأ الأعلى. الملائكة تمجد هذا السر لأنهم من عالم الضياء والبهاء. والمعمودية إنما هي صورةٌ من صور الغبطة التي هناك. ومهما نشاء أن نقول، نبقى في شأو التقصير بمديح هذا السر وإجلاله.

القديس غريغوريوس اللاهوتي

يوصلنا مَن سبقهم.

دعائي أن يكون بدء هذا العام الجديد بداية أمل بمستقبل أفضل للبنان، مستقبل آمن في وطن تسود المحبة والإحترام المتبادل بين أبنائه، وتحكمه دولةٌ تعتمد العدالة والمساواة واحترام حقوق المواطنين.

مهما اسودت الأيام وقسا الدهر، الله باقٍ والحق لا يموت، والخير لا يزول.

لنضع رجاءنا في الله ولنؤمن أننا به وحده نخلص. لنرفع الصلاة لكي يرحمنا ويمنحنا نِعَمه ويبسط سلامه في لبنان وفي العالم أجمع، ويبعد عنا كل ألم وحزن وشدة، ويعيد إلينا إنسانيتنا التي فقدناها بسبب خطايانا، ويزرع محبته في قلوبنا لكي نتقبّل بعضنا بعضاً ويرى كلُ واحد منا وجه الربِ في وجه أخيه. الآخر ليس عدواً. قد يكون مختلفاً لكنه أخ في الإنسانية.

لنرفع الصلاة أيضاً من أجل أن يلهم الرب الإله حكامنا والمسؤولين في هذا البلد، ويوجههم إلى عمل الصلاح والحكم بالعدل، ومن أجل كل إخوتنا المهجرين والمخطوفين والأسرى والحزانى والمتألمين، ومن أجل أخوينا المطرانين بولس ويوحنا، وأخواتنا راهبات دير القديسة تقلا في معلولا، وكل مَن هو بحاجة إلى رحمة الرب.

أعاد عليكم هذه المواسم المباركة بالصحة والخير وعلى وطننا بالسلام والأمان والإستقرار والإزدهار».

عيد الظهور الإلهي

في مناسبة عيد الظهور الإلهي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة السَحَر عند التاسعة يليها القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الإثنين ٦ كانون الثاني ٢٠١٤ في كاتدرائية القديس جاورجيوس.

كيس الحلوى

اشتريت كيس حلوى وجلست في المحطة أنتظر موعد انطلاق القطار، وبدأتُ أقرأ في كتاب كان معي وآكل من كيس الحلوى الذي كان بجانبي. فيما أنا أقرأ إلتفتُ فلاحظت أن المرأة التي كانت تجلس بجانبي تأكل من الحلوى التي في الكيس. عاودت القراءة ويا للدهشة، كلما مددت يدي لآكل من كيس الحلوى أجد أن المرأة التي بجانبي تمد يدها وتأكل من الكيس دون استئذان أو كلمة شكر. كتمت غيظي وأمسكت نفسي ولم أوجِّه لها أية كلمة... واستمر الحال هكذا حتى بقي في الكيس قطعة واحدة، فانتظرت. مدت المرأة يدها وأخذت القطعة الوحيدة الباقية وقسمتها نصفين وأعطتني نصفاً وأخذت هي النصف الآخر... يا للبرودةُ... حتى القطعة الأخيرة لم تشأ أن تحرم نفسها منها!

ركبت القطار وجلست أفكر فيما حدث مع هذه المرأة الغريبة، ومددت يدي إلى حقيبتي وأخرجت الكتاب المقدس لأقرأ فيه... ولشدَّة دهشتي أمسكت يدي بكيس الحلوى الذي اشتريته، وقد كان لا يزال في حقيبتي! عندها فطنت ان الكيس الذي أكلت منه لم يكن إلا كيس هذه المرأة التي كانت تجلس بجانبي وتأكل (دون استئذان)، أقصد الذي كنت أنا آكل منه دون استئذان، ولم توجِّه لي هذه المرأة أي كلمة لوم أو عتاب، حتى القطعة الأخيرة اقتسمتها معي.